الوعي الاسلامي يقوى

بانتشار اللغة العربية في الأقطار غير العربية

بقلم مفتشي اللغة العربية الأستاذين حسني المحتسب
وندیم عدي (سوريا)

تفضل خبيران من مركز البحوث السورية بالجواب الآتي عن استفتائنا وهما الاستاذ حقي المحتسب ونديم عدي المفتشان الاختصاصيان للغة العربية :

ان دراسة تاريخ الاديان وكيف انتشرت تدل على ان عددا كبيرا منها ـ ان لم نقل كلها ـ قد جاوز المكان الذى ظهر فيه ، وان اللغة هي العامل الاساسي فى انتشارها . ان الاديان افكار وتصورات عن الكون ومبدعه ومثل عليا اخلاقية وعبادات وانظمة اجتماعية، وهذه لا تنتشر الا بواسطة اللغة .

والاسلام قد انتشر عن طريق اللغة العربية اذ حمله العرب نحو البلاد المفتوحة . وساعدت اللغات المحلية على فهمه وايضاحه للسكان الذين لم يتعلموا العربية او لم يتقنوها . وقد تعلم كثيرون من ابناء البلاد غير العربية لغة الدين الجديد ليفهموه وليكونوا اكثر انسجاما مع الدولة العربية الاسلامية . وهناك بلاد انتشر فيها الاسلام ولم تصبح العربية لغة للسكان المحليين كاندونيسيا ، بل اصبحت العربية لغة العبادة فقط وثمة بلاد انتشر فيها الاسلام كما انتشرت العربية انتشارا محدودا ، فلما تقلص نفوذ الدولة العربية منها ضعفت اللغة العربية فيها حتى زالت او كادت مع بقاء الفاظ كثيرة من العربية شاهدة على تاثيرها فى لغة السكان المحليين كايران وافغانستان واواسط آسيا وتركيا . وهناك بلاد انتشر فيها الاسلام واللغة العربية ثم تقلص نفوذهما معا حتى زالا بسبب زوال الحكم العربي والاسلامي كبلاد الاندلس . وهناك بلاد انتشرت فيها اللغة العربية ولم ينتشر الاسلام انتشارا كاملا كلبنان فهي بلاد عربية اسلامية ومسيحية . وان لغات كثيرة قد انتشرت فى العالم من غير وساطة الدين بل بتاثير النفوذ السياسي والاقتصادي والفكري كالفرنسية والانجليزية والاسبانية والبرتغالية ، وحتى فى هذه الحالة فقد كان التبشير الديني عنصرا هاما من عناصر انتشار هذه اللغات .

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نقول :

1 ـ كان من الممكن ان تنتشر اللغة العربية وان لم ينزل القرآن بها لو ان القوة العربية السياسية والاقتصادية وصلت الى درجة من القوة تبسط معها نفوذها على الاقطار المجاورة وتحمل اليها لغتها ونظرتها الى الحياة وهو انتشار يدوم ما دامت هذه القوة . ولما كان الدين اكثر ثباتا من القوة السياسية والاقتصادية فان اثره فى بقاء اللغة العربية او فى بقاء آثارها ادوم واثبت . ان الذين ينقلون دينهم او لغتهم الى الامم الاخرى يكونون اكثر نجاحا اذا كانوا اكثر عدلا ودرسا واخلاقا ورقيا .

2 ـ وكان من الممكن ان ينتشر الاسلام ولو انه نزل بلغة اخرى غير العربية على غرار ما حصل في الاديان الاخرى لما له من قوة ذاتية تتعلق بالمبادىء والقيم والمثل .

3 ـ لقد انتشرت العربية قبل الاسلام فجاوزت الجزيرة العربية الى سوريا والعراق بسبب انتشار السكان ونمو النفوذ السياسي للعرب في هذين القطرين الى جانب النفوذين الفارسي والبيزنطي .

4 ـ ان قوة اللغة العربية في بلد عربي عامل على قوة فهم الاسلام ولكنها لا تستدعي بالضرورة قوة الوازع الديني لان هذه القوة اللغوية العربية قد تكون من تأثير الدوافع الوطنية والقومية .

وان ضعف الوازع الديني والوعي الاسلامي لا يحول دون قوة اللغة العربية في البلد العربي .

5 ـ ان البلاد الاسلامية غير العربية يقوى عندها الوعي الاصلاحي والوازع الديني بانتشار ثقافتها العربية لان دراستها للغة العربية ناتجة عن اسباب دينية لا عن اسباب وطنية وقومية ولان فهم ابنائها للاسلام بلغته الاصلية اقوى من فهمهم اياه بلغتهم المحلية .

6 ـ ان تأثير الاسلام عن طريق لغة القرآن قوي في البلاد غير العربية . وهو يؤثر في لهجات السكان ولغاتهم المحلية . ولكنه لا يحولهم الى اللغة العربية الا اذا رافقت الدين الاسلامي هجرة عربية كبيرة تجعل اللغة العربية مسيطرة ثقافيا وعدديا ويكون الدين مثبتا لهذه السيطرة .

7 ـ ان سوريا كانت فيها لغات قديمة قبل العربية ومعها . ودخلتها لغات بعد العربية وتأثيرها في العامية واضح كما ان لها تأثيرا في اسماء الامكنة والبقاع والمهن كالسريانية والتركية والفرنسية ، بل ربما وجدنا في عاميتنا الفاظا فارسية وكردية وهي لا تشوه الطابع العربي الغالب . وان الفرنسية وغيرها من اللغات الراقية تؤثر في اسلوب الفصحى عن طريق الترجمة ودخول الالفاظ الحضارية تعريبا او ترجمة .

8 ـ ان سوريا لا تسود فيها الا العربية فصحى وعامية الى جانب لغات تتكلمها اقليات محدودة كالشركسية والكردية والسريانية والتركية والاشورية والارمنية وان العربية فصحى وعامية تؤثر في هذه الاقليات فيتعلمونها وكثيرون منهم ينسون لغتهم الاصلية ويعود ذلك الى المدارس الرسمية واشراف الدولة على التعليم والى التمازج السكاني.

9 ـ ان نشر العربية في البلاد غير العربية يسهل اذا كانت هذه البلاد تدين بالدين الاسلامي او تكتب باحرف عربية او كانت لغتها بدائية محلية .